بالعرب الفلسطينيين · وتتالت مناقشاته مع اصحاب الاتجاهات الصهيونيـــة ودحضه الحاسم لحججهم ، والتي اصبحت حديث الاوساط العلمية في العالم · ويرتكز توينبي في معارضته للصهيونية على علمه الواسع بالتاريخ الذي اتـاح له تفنيد الادعاءات الصهيونية التاريخية في فلسطين ، ثم على نظرة منطقيـــة موضوعية الى الامور لا تقبل ابدا بان تقوم دولة على اسس دينية خالصـــة ، وعلى دعاوى عنصرية تنطوي عليها ضمنا الدعوة الصهيونية · وهو يدحض منطق الامر الواقع الذي يرتكز عليه ساسة اسرائيل بلغة حقوق الانســـــان المعترف بشرعيتها عالميا ·

وموقفه هذا لا اثر فيه للتعصب او التحامل ، فهو يميز بين موقفه تجـــاه الشعب اليهودي والديانة اليهودية من جهة ، وموقفه تجاه الحركة الصهيونية من جهة اخرى · ويقدر المساهمة العالمية للديانة اليهودية ، وهي عنصر مرغوب جدا في الحضارة الغربية · ولكن الصهيونية ـ التي يعتبرها انحرافا كبيـرا لليهودية ـ هي الخطوة التقهقرية ، وهي من اكثر مواضيع النقد التي تكـررت في كتاباته ·

وكان من الطبيعي لشخصية في مكانة توينبي وجو الشجاعة وحرية الـــرأي لبسط الامور بأمانة وصراحة وموضوعية ، في وجه جمهور متحامل بوجه عام وامام صحافة تسيطر عليها الصهيونية ، ان تثير حنق الدوائـر الصهيونية وخاصة في الولايات المتحدة ، فاعتبرت ذلك تحديا لنفوذها ، وحملت علـــى المؤرخ حملات قاسية ، وحاولت تبرئة نفسها مما ادانها به من ظلم وتعصـب ، وبادرت الى اصدار عديد من الاتهامات ضده ومنها وصمه بالتهمة الشائعـــة « معاداة السامية » ·

توينبي والعقيدة الصهيونية

اعاد توينبي النظر في الرأي الشائع حول صحة الادعاءات الصهيونية فـي فلسطين ، والذي تكون دون تحري الحقائق التاريخية · ويقوم الادعاء الصهيوني على اعتقاد قديم في التوراة بان الاله يهوه قد اختار بني اسرائيل ليكونـــوا شعبه المختار ، ومنحهم حقا شرعيا لتحويل « ارض كنعان » الـــى « ارض اسرائيل » · وجهة نظر توينبي ان هذا الاعتقاد الغامض قد يستمر جيـــلا او جيلين ، ولكن لا يمكن تصور استمزاره قرونا او الاف السنين · ولذا فهو ادعاء سياسي حديث اصبح اداة للقومية الصهيونية على يد مجموعة من «الاشكنازيم» الاوروبيين ، الذين هجرت اكثريتهم ديانة اجدادها واستبدلتها بعبادة قوة بشرية جماعية تمثل الان سلطة دولة اسرائيل · ومنذ العام ١٣٥ م نزعت جذور اخر استيطان يهودي في بعض اجزاء من فلسطين على يد الامبراطورية الرومانية ·